بأن فلسطين لا توجد، وانها كانت، ولا تزال، وستظل، اريتس يسرائيل (ارض ـ اسرائيل): «فلو كانت هذه هي فلسطين [ارض العربي الحقيقي] وليست ارض ـ اسرائيل [ارض اليهودي الخالص]، اذاً فانتم فاتحون ولستم مزارعين يفلحون الارض. انتم، اذاً، غزاة. اذا كانت هذه فلسطين (اي اذا اعترفنا بوجود العربي الحقيقي ذي الحقوق القومية والسياسية) فهي تنتمي، اذاً، للشعب الذي عاش هنا قبل ان تأتوا اليها. لن يكون لكم حق العيش فيها، الا اذا كانت هذه هي ارض ـ اسرائيل»[٢٣]. وقد تولى بيغن رئاسة الوزارة فيما بعد. ولم نعد نسمع عن ماغنيس او ابشتاين وامثالهما في كتب التاريخ. ولكن البشر لا يوجدون داخل وعي الآخرين وادراكهم؛ ولذا، فهم يرفضون الغياب والتواري عن الانظار، ويحملون السلاح دفاعاً عن وجودهم وشرفهم. ولذا، بدلاً من النصب التذكاري الذي حلمه المؤلف الصهيوني يوجد، الآن، في عين حارود، نصب تذكاري شيده الاسرائيليون للقتلى الصهيونيين الذين سقطوا في الحروب التي لا تنتهي مع العرب[٢٤]، والتي تنبأ بها بن ـ غوريون، نبيّ الصهيونية المسلح، في احدى لحظات الصفاء!

بعض النتائج

لعل من اهم النتائج التي خلصنا اليها في تقييمنا للادراك الصهيوني للعرب انفصال الادراك عن السلوك، اذ ان الادراك عينه للظاهرة ذاتها (ادراك الصهيونيين للعربي كانسان حقيقي له حقوق) قد يؤدي الى انواع متباينة من السلوك. فادراك احاد هعام ويهودا ماغنيس وبن ـ غوريون للعربي الحقيقي قد نجم عنه تذبذب من جانب الاول، ومحاولات يائسة للتوفيق بين رؤيتين متناقضتين من جانب الثاني ادت الى تهميشه هو شخصياً، ومزيد من الشراسة من جانب الثالث. وكما بينت من قبل، تختلف الاستجابات من فرد الى اخر نتيجة لمركب هائل من العوامل النفسية والعصبية والتاريخية والسياسية.

وقد بيّنا ان موازين القوى تلعب دوراً هاماً في ترجيح صورة ادراكية على حساب أخرى؛ ولذا، في غياب القوة العربية وجدنا ان النمط الثالث هو اكثر الانماط الصهيونية شيوعاً. فهو النمط الذي كان يدرك منطق الرؤية الصهيونية والذي كان يعرف موازين القوى معرفة جيدة. ويمكننا ان نرسم مخططاً متكاملاً لطيف الادراك الصهيوني (الواقع العربي ـ نفي الرؤية الصهيونية ـ ؛ الرؤية الصهيوينة ـ نفي الواقع العربي ـ؛ موازين القوة كمحدد اساس للادراك):

١ ـ في حالة اتجاه موازين القوى لصالح العرب وضد صالح الصهيونيين، فانها ستدعم الادراك الواقعي، وسيساهم ذلك في تبديد الاوهام الايديولوجية، ويبدأ الادراك الواقعي في فرض نفسه. وقد يتحول الى برنامج سياسي يعكس الواقع ـ اي انه يتم ترشيد العقل الصهيوني (في هذا الاطار قد تتحول الشخصيات الهامشية «المجنونة»، مثل يسرائيل شاحاك وافنيري، الى شخصيات قيادية؛ ويمكن ان تظهر، ايضاً، قيادات سفاراديه قد تكون على استعداد لتعديل اسطورة الذات الصهيونية).

٢ ـ في حالة اتجاه موازين القوى في صالح الصهيونيين وضد صالح العرب، فانها ستدعم الادراك المتحين، وسيساهم ذلك في ان يتحول اي ادراك واقعي الى شيء هامشي باهت، ويتدعم البرنامج السياسي الصهيوني كمرشد للتعامل مع «الواقع».

ويمكن ان نفسر التطرف والاعتدال الصهيونيين في ضوء الاحتمالين السابقين.

ان وجود العربي الحقيقي ساكناً دون ان يتحدى الرؤية او موازين القوى اصبح من الممكن قبوله كشخصية متخلفة هامشية غائبة، ويصبح من الممكن اظهار «التسامح» تجاهه، بل و «منحه» بعض الحقوق (وهنا تكمن المفارقة)، ويتولى «المعتدلون» والحمائم القيادة. اما اذا بدأ العربي الحقيقي في